الفصل الخامس

مرويات الطبري عن أخبار الجهاد في خلافة معاوية رضي الله عنه

- مقدمة عن توقف الجهاد بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- جبهات الجهاد في خلافة معاوية رضي الله عنه.

جبهة الروم.

جبهة المغرب.

جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر.

- السياسة الجهادية لمعاوية رضي الله عنه.

مقدمة

تعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبي بكر رضي الله عنه، حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف أهل القبلة إلى أهل القبلة، في فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لولا أن تداركتها رحمة الله سبحانه وتعالى بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في سنة ٤١هـ، وحقنه بذلك دماء المسلمين.

هذا وقد امتلأت المصادر بالنصوص التي تبين أثر الفتنة في انحسار حركة الجهاد، وفيما يلي بعض منها:

١ـ ما أخرجه ابن سعد[١] بإسناده، عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال:

«قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج ـ يعني الثغور ـ».

---

(١) الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٣١.

٢ـ ما أخرجه أبو زرعة الدمشقي[١] بإسناده، قال:

«لما قتل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة[٢]، حتى اجتمعت الأمة على معاوية».

٣ـ قول قدامة بن جعفر[٣]:

«لما استخلف علي بن أبي طالب... انتقضت خراسان فلم تزل منتقضة حتى قتل رضوان الله عليه».

وقوله[٤] أيضاً:

«ولم يزل أمر سجستان على اضطرابه إلى أيام معاوية بن أبي سفيان».

٤ـ قول أبي بكر المالكي[٥]:

«فوقعت الفتنة... واستشهد عثمان رضي الله عنه، وولي بعده علي رضي الله تعالى عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضي الله تعالى عنه».

٥ـ قول ابن تيمية[٦]:

«وخلافة علي لم يقاتل فيها كفار، ولا فتح مصر، وإنما كان

---

(١) التاريخ ١/١٨٨.
(٢) الصائفة: الغزوة في الصيف. ابن منظور: لسان العرب ٩/٢٠١.
(٣) الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٤.
(٤) المصدر السابق ٣٩٤.
(٥) رياض النفوس ١/٢٧.
(٦) منهاج السنة النبوية ١/٥٤٦.

السيف بين أهل القبلة».

٦ـ قول مؤلف مجهول[١]:

«ثم هاجت فتنة عثمان رحمه الله، فانقطعت الصوائف عن إفريقية، واشتد أمر البربر، ثم انقطعت الفتنة فرجعت الصوائف على يد معاوية رحمه الله».

(١) اسم كتابه: أخبار مجموعة في فتح الأندلس ١٤.

جبهات الجهاد في خلافة معاوية رضي الله عنه

من خلال تتبع الفتوحات والغزوات التي تمت في عهد معاوية رضي الله عنه نلاحظ وجود ثلاث جبهات رئيسية للجهاد هي:

١ـ جبهة الروم[١]:

تعتبر هذه الجبهة من أهم الجبهات، وأخطرها؛ نظراً لقوة الروم، ومجاورتهم لبلاد المسلمين، هذا فضلاً عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة، مما دفع المسلمين إلى جهاد الروم في البر والبحر معاً.

٢ـ جبهة المغرب[٢]:

وهذه الجبهة ترتبط بجبهة الروم برباط وثيق؛ وذلك لوجود

---

(١) وميدان هذه الجبهة: آسيا الصغرى (تركيا) برآ، وبحر الشام (البحر المتوسط). انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/٩٨ ـ ١٠٠، ١/٣٤٢ ـ ٣٤٥، أبو الفداء: تقويم البلدان ٢٧، ٣٧٨. د. محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ٨١، ٣٩٧.

(٢) المالكي: رياض النفوس ١/٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٥ ـ ٣٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب ١/١٧ ـ ٢٤؛ د. سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي ١/١٩٥ ـ ١٩٧.

مستعمرات رومية على سواحل بلاد المغرب كان لها أثر كبير في عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية في المنطقة.

٣ـ جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر[١]:

تعتبر سجستان وخراسان من أوائل البلاد التي انتقضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه[٢].

(١) يقصد بمصطلح ما وراء النهر تلك البلاد الواقعة وراء نهر جيحون. انظر أبو الفداء: تقويم البلدان ٤٨٥.

(٢) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ٣٩٤، ٤٠٤.

جبهة الروم

أولاً: الجهاد في البر:

[١٥٤] غزوة سنة ٤٢هـ:

قال الطبري:

«ففيها[١] غزا المسلمون اللاَّن[٢]، وغزوا أيضاً الروم فهزموهم هزيمة منكرةً ـ فيما ذكروا ـ وقتلوا جماعة من بطارقتهم[٣]»[٤].

هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي[٥] دون الإشارة إلى غزو اللان، وذكرها ابن الأثير[٦] وابن كثير[٧] بمثلها.

هذا ويبدو أن غزو اللاَّن والروم كان في إطار حملة واحدة، كان

---

(١) سنة ٤٢هـ.
(٢) اللاَّن: ولاية تقع حالياً في جورجيا. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٢١٣.
(٣) بطارقة جمع بطريق، وهو القائد من قواد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١١٢١.
(٤) ٥/ ١٧٢.
(٥) المنتظم ٥/ ١٩٣.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٢٠.
(٧) البداية والنهاية ٨/ ٢٤.

الهدف منها منع عودة الروم إلى أرمينيا[١]، التي كانت خاضعة لنفوذ الدولة الإسلامية[٢].

[١٥٥] شاتية[٣] سنة ٤٣هـ:

قال الطبري:

«فمن ذلك غزوة بسر بن أرطأة الروم، ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القسطنطينة» فيما زعم الواقدي، وقد أنكر ذاك قوم من أهل الأخبار فقالوا:

«لم يكن لبسر بأرض الروم مشتى قط»[٤].

[١٥٦] شاتية سنة ٤٤هـ:

قال الطبري:

«فمما كان فيها[٥] من ذلك دخول المسلمين مع عبدالرحمن بن

---

(١) أرمينيا: صقع واسع كان بين بحر الخزر شرقاً ووادي الفرات غرباً، أصبح اليوم منه قسم كبير في تركيا، وقسم في الإتحاد السوفياتي، وقد استقل القسم الأخير بعد تفكك الاتحاد السوفياتي. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٦٨٥.

(٢) د. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/٤٨.

(٣) الشاتية: هي الغزوة في الشتاء. قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ١٩٣. وشتا بالبلد: أقام به شتاءً، كَشَتَّى وتَشَتَّى. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٦٧٥.

(٤) ٥/١٨١.

(٥) سنة ٤٤هـ.

خالد بن الوليد[١] بلاد الروم ومشتاهم بها»[٢].

[١٥٧] شاتية سنة ٤٥هـ:

قال الطبري:

«وفي هذه السنة[٣] كان مشتى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بأرض الروم»[٤].

[١٥٨] شاتية سنة ٤٦هـ:

قال الطبري:

«فمما كان فيها[٥] مشتى مالك بن عبدالله[٦] بأرض الروم».

وقيل:

«بل كان ذلك عبدالرحمن بن خالد بن الوليد».

---

(١) عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، من صغار الصحابة، أدرك الرسول ﷺ ورآه، شهد اليرموك مع أبيه، وصفين مع معاوية، وكان شريفاً شجاعاً، توفي سنة ٤٦هـ على الأصح. الذهبي: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦، ٧٦، ٧٧.

(٢) ٥/٢١٢.

(٣) سنة ٤٥هـ.

(٤) ٥/٢٢٦.

(٥) سنة ٤٦هـ.

(٦) مالك بن عبدالله الخثعمي، مختلف في صحبته، من أبطال الإسلام، قاد جيوش الصوائف أربعين سنة، كان يعرف بمالك السرايا، وكان ذا حظٍ من صيام وقيام وجهاد، توفي في حدود سنة ستين أو بعدها. الذهبي: السير ٤/١٠٩؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٧٣٠.

وقيل:

«بل كان مالك بن هبيرة السكوني[١]»[٢].

[١٥٩] شاتية سنة ٤٧هـ:

قال الطبري:

«ففيها[٣] كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم، ومشتى أبي عبدالرحمن القيني[٤] بأنطاكية[٥]»[٦].

الروايات السابقة أوردها خليفة بن خياط[٧]، واليعقوبي[٨]، وابن الجوزي[٩].

[١٦٠] شاتية سنة ٤٨هـ:

قال الطبري:

---

(١) مالك بن هبيرة السكوني، صحابي، شهد فتح مصر، وسكنها، ثم ولي حمص لمعاوية، مات في زمن مروان بن الحكم. ابن حجر: الإصابة ٥/٧٥٦.
(٢) ٥/٢٢٧.
(٣) سنة ٤٧هـ.
(٤) النعمان بن أسد بن عروة، أبو عبدالرحمن القيني، صحابي، شهد فتوح الشام. ابن عساكر: تاريخ دمشق (مخطوط) ١٩/١٣٦؛ ابن حجر: الإصابة ٧/٢٦٣.
(٥) أنطاكية: مدينة مشهورة، تقع حالياً في جنوب شرق تركيا. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٦٩٠.
(٦) ٥/٢٢٩.
(٧) التاريخ ٢٠٦ ـ ٢٠٨.
(٨) التاريخ ٢/٢٣٩، ٢٤٠.
(٩) المنتظم ٥/٢٠١، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠.

«وكان فيها[١] مشتى أبي عبدالرحمن القيني أنطاكية»[٢].

هـذا الخبـر ذكـره خليفـة بـن خيـاط[٣]، وابـن الجـوزي[٤]، وابن الأثير[٥].

[١٦١] صائفة سنة ٤٨هـ:

قال الطبري:

«وكان فيها[٦]... صائفة عبدالله بن قيس الفزاري[٧]»[٨].

هذا الخبر ذكره ابن الأثير[٩].

[١٦٢] غزو القسطنطينية[١٠] سنة ٤٩هـ:

قال الطبري:

---

(١) سنة ٤٨هـ.
(٢) ٥/ ٢٣١.
(٣) التاريخ ٢٠٩.
(٤) المنتظم ٥/ ٢٢٣.
(٥) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٧.
(٦) سنة ٤٨هـ.
(٧) عبدالله بن قيس الفزاري، أدرك الرسول ﷺ ولم يره، غزا خمسين غزوةً ما بين صائفة وشاتية، وكان أول ما غزا سنة ٢٧هـ، وكان معاوية يرسله في غزو البحر، استشهد سنة ٥٣هـ. ابن حجر: الإصابة ٥/ ٩٥.
(٨) ٥/ ٢٣١.
(٩) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٧.
(١٠) القسطنطينية: هي مدينة إسلام بول (استامبول) بتركيا. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٧٦٢.

«وفيها[١] كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ قسطنطينية، ومعه ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري»[٢].

هذه الرواية ذكرها خليفة بن خياط[٣]، وابن الجوزي[٤]، وابن كثير[٥].

وغزو القسطنطينية يعد من دلائل النبوة حيث أخبر به نبينا محمد ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه من طريق أم حرام رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«... أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم»[٦].

وقد اشترك في غزو القسطنطينية عدد من كبراء الصحابة[٧] رضوان الله عليهم، طلباً للمغفرة التي بشر بها رسول الله ﷺ.

وفي هذه الغزوة كانت وفاة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وفي ذلك يقول ابن كثير:

---

(١) سنة ٤٩هـ.
(٢) ٥/ ٢٣٢.
(٣) التاريخ ٢١١.
(٤) المنتظم ٥/ ٢٢٤.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٣٢.
(٦) البخاري: صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ١٢٠. وقد تقدم هذا الحديث في المبحث المتعلق بفضائل معاوية رضي الله عنه.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٢٧.

«وكانت وفاته ببلاد الروم[١] قريباً من سور قسطنطينية... وكان في جيش يزيد بن معاوية، وإليه أوصى، وهو الذي صلى عليه»[٢].

[١٦٣] شاتية سنة ٤٩هـ:

قال الطبري:

«كان فيها[٣] مشتى مالك بن هبيرة السكوني بأرض الروم»[٤].

هذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[٥]، وابن الجوزي[٦]، وابن الأثير[٧].

[١٦٤] صائفة سنة ٤٩هـ:

قال الطبري:

---

(١) وعن موقف الروم من دفن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قرب أسوار القسطنطينية، يقول القزويني: «فقال صاحب الروم: ما أقل عقل هذا الصبي! دفن صاحبه ههنا... ما تفكر في أنه إذا مشى نبشناه ورميناه إلى الكلاب! فبلغ هذا القول يزيد بن معاوية فقال: ما رأيت أحمق من هذا، ما تفكر في أنه إن فعل ذلك ما نترك قبراً من قبور النصارى في بلادنا إلا نبشناه، ولا كنيسةً إلا خربناها! فعند ذلك قال صاحب الروم: ما رأينا أعقل منه ولا ممن أرسله». آثار البلاد وأخبار العباد ٦٠٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/٥٨.

(٣) سنة ٤٩هـ.

(٤) ٥/٢٣٢.

(٥) التاريخ ٢٠٩.

(٦) المنتظم ٥/٢٢٤.

(٧) الكامل في التاريخ ٣/٤٥٨.

«وفيها[١] كانت صائفة عبدالله بن كرز البجلي[٢]»[٣].

هذا الخبر ذكره ابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥].

[١٦٥] غزوة سنة ٥٠هـ:

قال الطبري:

«ففيها[٦] كانت غزوة بسر بن أبي أرطأة، وسفيان بن عوف الأزدي[٧] أرض الروم»[٨].

هذا الخبر ذكره ابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠]، وابن كثير[١١].

---

(١) سنة ٤٩هـ.
(٢) هو عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري، كان كاتب حبيب بن مسلمة في خلافة عثمان رضي الله عنه، ثم كان مع عمرو الأشدق لما غلب على دمشق، وثقه ابن حبان. ابن حجر: تعجيل المنفعة ٢٤٠.
(٣) ٥/ ٢٣٢.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٨.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٣٢.
(٦) سنة ٥٠هـ.
(٧) سفيان بن عوف الأزدي، صحابي، شهد فتوح الشام، استعمله معاوية على الصوائف، مات سنة ٥٢هـ، وقيل: سنة ٥٣هـ، وقيل: سنة ٥٤هـ. ابن حجر: الإصابة ٣/ ١٢٦.
(٨) ٥/ ٢٣٤.
(٩) المنتظم ٥/ ٢٢٧.
(١٠) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦١.
(١١) البداية والنهاية ٨/ ٤٥.

[١٦٦] شاتية سنة ٥١هـ:

قال الطبري:

«كان فيها[١] مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم»[٢].

هذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[٣]، واليعقوبي[٤]، وابن الجوزي[٥].

[١٦٧] صائفة سنة ٥١هـ:

قال الطبري:

«كان فيها[٦]... غزوة بسر بن أبي أرطأة الصائفة»[٧].

هذا الخبر ذكره ابن الجوزي[٨]، وابن الأثير[٩].

[١٦٨] شاتية سنة ٥٢هـ:

قال الطبري:

---

(١) سنة ٥١هـ.
(٢) ٥/ ٢٥٣.
(٣) التاريخ ٢١٨.
(٤) التاريخ ٢/ ٢٤٠.
(٥) المنتظم ٥/ ٢٤١.
(٦) سنة ٥١هـ.
(٧) ٥/ ٢٥٣.
(٨) المنتظم ٥/ ٢٤١.
(٩) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٧٢.

«فزعم الواقدي أن فيها[١] كانت غزوة سفيان بن عوف الأزدي، ومشتاه بأرض الروم، وأنه توفي بها، واستخلف عبدالله بن مسعدة الفزاري».

وقال غيره:

«بل الذي شتى بأرض الروم في هذه السنة بالناس بسر بن أبي أرطأة، ومعه سفيان بن عوف الأزدي»[٢].

[١٦٩] صائفة سنة ٥٢هـ:

قال الطبري:

«وغزا الصائفة في هذه السنة[٣] محمد بن عبدالله الثقفي»[٤].

[١٧٠] شاتية سنة ٥٣هـ:

قال الطبري:

«فمما كان فيها[٥] من ذلك مشتى عبدالرحمن بن أم الحكم الثقفي بأرض الروم»[٦].

---

(١) سنة ٥٢هـ.
(٢) ٥/٢٨٧.
(٣) سنة ٥٢هـ.
(٤) ٥/٢٨٧.
(٥) سنة ٥٣هـ.
(٦) ٥/٢٨٨.

الروايات السابقة أوردها ابن الجوزي[١]، وابن الأثير[٢]، وابن كثير[٣].

[١٧١] شاتية سنة ٥٤هـ:

قال الطبري:

«ففيها[٤] كان مشتى محمد بن مالك[٥] أرض الروم»[٦].

هذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[٧]، وابن الجوزي[٨]، وابن الأثير[٩].

[١٧٢] صائفة سنة ٥٤هـ:

قال الطبري:

«ففيها[١٠]... صائفة معن بن يزيد السلمي[١١]»[١٢].

---

(١) المنتظم ٥/ ٢٤٩ ـ ٢٥٥.
(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٣.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٥٨ ـ ٦١.
(٤) سنة ٥٤هـ.
(٥) ذكره ابن عساكر دون أن يترجم له. تاريخ دمشق (مخطوط) ٥/ ٩٢٩.
(٦) ٥/ ٢٩٣.
(٧) التاريخ ٢٢٣.
(٨) المنتظم ٥/ ٢٦٦.
(٩) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩٧.
(١٠) سنة ٥٤هـ.
(١١) معن بن يزيد السلمي، له ولأبيه وجده صحبة، شهد فتح دمشق، وكان له منزلة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل إنه توفي سنة ٦٤هـ. المزي: تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٤١؛ ابن حجر: الإصابة ٦/ ١٩٢.
(١٢) ٥/ ٢٩٣.

هذا الخبر ذكره ابن الجوزي[١]، وابن الأثير[٢]، وابن كثير[٣].

[١٧٣] شاتية سنة ٥٥هـ:

قال الطبري:

«فمما كان فيها[٤] من ذلك مشتى سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم» في قول الواقدي.

وقال بعضهم:

«بل الذي كان شَتَا بأرض الروم في هذه السنة عمرو بن محرز[٥]».

وقال بعضهم:

«بل الذي شَتَا بها عبدالله بن قيس الفزاري».

وقال بعضهم:

«بل ذلك مالك بن عبدالله»[٦].

هذه الرواية ذكر خليفة بن خياط[٧] القول الأول منها، وذكر

---

(١) المنتظم ٥/ ٢٦٦.
(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩٧.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٦٦.
(٤) سنة ٥٥هـ.
(٥) عمرو بن محرز الأشجعي، تابعي، أول مولود يولد بحمص بعد فتحها، عاش إلى أيام عبدالملك بن مروان. ابن عساكر: تاريخ دمشق (مخطوط) ١٣/ ٦٠٠.
(٦) ٥/ ٢٩٩.
(٧) التاريخ ٢٢٣.

اليعقوبي[١] القول الرابع، وأوردها ابن الجوزي[٢]، وابن الأثير[٣] بمثلها.

[١٧٤] شاتية سنة ٥٦هـ:

قال الطبري:

«ففيها[٤] كان مشتى جنادة بن أمية[٥] بأرض الروم».

وقيل: «عبدالرحمن بن مسعود[٦]»[٧].

هذه الرواية ذكرها خليفة بن خياط[٨]، وابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠].

[١٧٥] غزوة سنة ٥٦هـ:

قال الطبري:

---

(١) التاريخ ٢/ ٢٤٠.
(٢) المنتظم ٥/ ٢٧٨.
(٣) الكامل في التاريخ ٣/ ٥٠١.
(٤) سنة ٥٦هـ.
(٥) جنادة بن أمية الأزدي، صحابي، شهد فتح مصر، وولي البحر لمعاوية رضي الله عنه. المزي: تهذيب الكمال ٥/ ١٣٣.
(٦) عبدالرحمن بن مسعود الفزاري، من تابعي أهل الشام، أحد القواد الذين ولوا صوائف الروم أيام معاوية، له ذِكرٌ وشجاعة. ابن عساكر: تاريخ دمشق (مخطوط) ١٠/ ١٨٤.
(٧) ٥/ ٣٠١.
(٨) التاريخ ٢٢٤.
(٩) المنتظم ٥/ ٢٨٥.
(١٠) الكامل في التاريخ ٣/ ٥٠٣.

وقيل: «غزا فيها[١] . . . في البر عياض بن الحارث[٢]»[٣].

هذه الغزوة عَدَّها اليعقوبي[٤] من مغازي البحر، وأوردها ابن الجوزي[٥]، وابن الأثير[٦]، وابن كثير[٧] بمثل رواية الطبري.

[١٧٦] شاتية سنة ٥٧هـ:

قال الطبري:

«وكان فيها[٨] . . . مشتى عبدالله بن قيس بأرض الروم»[٩].

[١٧٧] غزوة سنة ٥٨هـ:

قال الطبري:

وفيها[١٠] غزا مالك بن عبدالله بن عبدالله الخثعمي أرض الروم»[١١].

---

(١) سنة ٥٦هـ.
(٢) لعله الصحابي عياض بن الحارث التيمي رضي الله عنه، نزيل المدينة. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٣/ ١٢٣٢.
(٣) ٥/ ٣٠١.
(٤) التاريخ ٢/ ٢٤٠.
(٥) المنتظم ٥/ ٢٨٥.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٥٠٣.
(٧) البداية والنهاية ٨/ ٧٨.
(٨) سنة ٥٧هـ.
(٩) ٥/ ٣٠٨.
(١٠) سنة ٥٨هـ.
(١١) ٥/ ٣٠٩.

[١٧٨] شاتية سنة ٥٩هـ:

قال الطبري:

«ففيها[١] كان مشتى عمرو بن مرة الجهني[٢] أرض الروم»[٣].

الروايات السابقة ذكرها خليفة بن خياط[٤]، واليعقوبي[٥]، وابنَ الجوزي[٦].

[١٧٩] غزوة سنة ٦٠هـ:

قال الطبري:

«ففي هذه السنة[٧] كانت غزوة مالك بن عبدالله سورية[٨]»[٩].

---

(١) سنة ٥٩هـ.

(٢) عمرو بن مرة الجهني، صحابي، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد، سكن مصر ثم دمشق، مات في خلافة معاوية، وقيل في خلافة عبدالملك بن مروان. ابن حجر: الإصابة ٤/ ٦٨٠.

(٣) ٥/ ٣١٥.

(٤) التاريخ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) التاريخ ٢/ ٢٤٠.

(٦) المنتظم ٥/ ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٤.

(٧) سنة ٦٠هـ.

(٨) سورية: لعلها مدينة إسوريا، أو إيسوره، تقع في وسط تركيا. د. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/ ١٥٠؛ د. إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ١٠١.

(٩) ٥/ ٣٢٢.

هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي[١]، وابن الأثير[٢]، وابن كثير[٣].

ثانياً: الجهاد في البحر:

[١٨٠] سنة ٤٤هـ:

قال الطبري:

«فمما كان فيها[٤] من ذلك... غزو بسر بن أبي أرطأة البحر»[٥].

هذا الخبر ذكره ابن الجوزي[٦]، وابن الأثير[٧]، وابن كثير[٨].

[١٨١] سنة ٤٨هـ:

قال الطبري:

«وكان فيها[٩]... غزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر، وبأهل المدينة، وعلى أهل

---

(١) المنتظم ٥/ ٣٢٠.
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٥.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ١١٥.
(٤) سنة ٤٤هـ.
(٥) ٥/ ٢١٢.
(٦) المنتظم ٥/ ٢٠٩.
(٧) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٤٠.
(٨) البداية والنهاية ٨/ ٢٧.
(٩) سنة ٤٨هـ.

المدينة المنذر بن الزهير[١]، وعلى جميعهم خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد[٢]»[٣].

هذه الرواية أوردها ابن الجوزي[٤] دون الإشارة إلى اشتراك أهل المدينة في الغزو، وأوردها ابن الأثير[٥] بمثل رواية الطبري إلى قوله: «وبأهل المدينة»، بينما اكتفى ابن كثير[٦] بالإشارة إلى غزوة عقبة بن عامر.

[١٨٢] سنة ٤٩هـ:

قال الطبري:

«وفيها[٧] كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي[٨] في البحر، فشتا

---

(١) لعله المنذر بن الزبير بن العوام، تابعي، شقيق عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحد الأبطال، وكان ممن غزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية، قتل سنة ٦٤هـ أثناء حصار أهل الشام لمكة. الذهبي: السير ٣/ ٣٨١.

(٢) خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، تابعي، قيل إنه قتل ابن أثال الطبيب النصراني الذي سم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد. ابن عساكر: تاريخ دمشق (مخطوط) ٥/ ٥٠٢.

(٣) ٥/ ٢٣١.

(٤) المنتظم ٥/ ٢٢٣.

(٥) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٧.

(٦) البداية والنهاية ٨/ ٣٢.

(٧) سنة ٤٩هـ.

(٨) يزيد بن شجرة بن أبي شجرة الرهاوي، مختلف في صحبته، كان معاوية رضي الله عنه يستعمله على الجيوش، مات سنة ٥٨هـ. ابن حجر: الإصابة ٦/ ٦٦٢.

بأهل الشام.

وفيها[١] كانت غزوة عقبة بن نافع البحر، فشتا بأهل مصر»[٢].

هذه الرواية أورد ابن الجوزي[٣] منها خبر غزوة يزيد بن شجرة، وأورد ابن عذاري[٤] منها خبر غزوة عقبة في البحر وصرح أن هذه الغزوة كانت موجهة إلى الروم،وأورد ابن الأثير[٥]، وابن تغري بردي[٦] هذه الرواية بمثلها.

[١٨٣] سنة ٥٠هـ:

قال الطبري:

وقيل: «كانت فيها[٧] غزوة فضالة بن عبيد الأنصاري البحر»[٨].

هذه الغزوة ذكرها ابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠]، وابن كثير[١١].

---

(١) سنة ٤٩هـ.
(٢) ٥/ ٢٣٢.
(٣) المنتظم ٥/ ٢٢٤.
(٤) البيان المغرب ١/ ١٩.
(٥) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٨.
(٦) النجوم الزاهرة ١/ ١٨١.
(٧) سنة ٥٠هـ.
(٨) ٥/ ٢٣٤.
(٩) المنتظم ٥/ ٢٢٧.
(١٠) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦١.
(١١) البداية والنهاية ٨/ ٤٥.

[١٨٤] فتح جزيرة رودس[١] سنة ٥٣هـ:

قال الطبري:

«وفيها[٢] فتحت رودس ـ جزيرة في البحر ـ فتحها جنادة بن أمية الأزدي، فنزلها المسلمون ـ فيما ذكر محمد بن عمر ـ وزرعوا واتخذوا بها أموالاً، ومواشي يرعون حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن، ولهم ناطور[٣] يحذرهم ما في البحر ممن يريدهم بكيد، فكانوا على حذر منهم، وكانوا أشد شيء على الروم، فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يدر لهم الأرزاق والعطاء، وكان العدو قد خافهم فلما مات معاوية أقفلهم يزيد بن معاوية»[٤].

[١٨٥] إخلاء جزيرة رودس سنة ٦٠هـ:

قال الطبري:

«ففي هذه السنة[٥] كان... دخول جنادة بن أمية رودس، وهدمه مدينتها» في قول الواقدي[٦].

---

(١) جزيرة رودس: تقع شرقي البحر المتوسط، وهي حالياً إحدى الجزر اليونانية. محمد سيد نصر، وآخرون: أطلس العالم ٧٩.

(٢) سنة ٥٣هـ.

(٣) الناطور: حافظ الكرم والنخل، وهي كلمة أعجمية، والمراد بالناطور هنا: الحارس. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٢٢.

(٤) ٥/٢٨٨.

(٥) سنة ٦٠هـ.

(٦) ٥/٣٢٢.

تحدثت هاتان الروايتان عن فتح جزيرة رودس في خلافة معاوية رضي الله عنه ثم إخلاءها في عهد ابنه يزيد، وهذا الأمر ذكره البلاذري[١]، وقدامة بن جعفر[٢] باختصار، وذكره ابن الجوزي[٣]، وابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥] بمثل رواية الطبري.

[١٨٦] فتح جزيرة أرواد[٦] سنة ٥٤هـ:

قال الطبري:

«وفيها[٧] ـ فيما زعم الواقدي ـ فتح جنادة بن أمية جزيرة في البحر قريبة من قسطنطينية يقال لها أرواد.

وذكر محمد بن عمر أن المسلمين أقاموا بها دهراً، فيما يقال: سبع سنين، وكان فيها مجاهد بن جبر[٨]، قال: وقال تبيع[٩] ابن امرأة

---

(١) فتوح البلدان ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
(٢) الخراج وصناعة الكتابة ٣٥١.
(٣) المنتظم ٥/ ٢٥٥، ٣٢٠.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩٣؛ ٤/ ٥.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٦١، ١١٥.
(٦) أرواد: ذكرها ياقوت الحموي، ولم يزد في تعريفها عما أورده الطبري. ياقوت: معجم البلدان ١/ ١٦٢.
(٧) سنة ٥٤هـ.
(٨) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، تابعي، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، توفي وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، وقيل بعد ذلك. الذهبي: السير ٤/ ٤٥٦.
(٩) تبيع بن عامر الحميري، أدرك النبي ﷺ، ولم يسلم إلا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قرأ القرآن على مجاهد بن جبر وكان رفيقه في غزو =

كعب[١]: ترون هذه الدَّرجة[٢]؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا.

قال: فهاجت ريح شديدة فقلعت الدرجة، وجاء نعي معاوية، وكتاب يزيد بالقفل فقفلنا، فلم تعمر بعد ذلك، وخربت، وأمن الروم»[٣].

هذه الرواية أوردها البلاذري[٤]، وقدامة ابن جعفر[٥]، وابن الأثير[٦] مختصرةً، وأوردها ابن عساكر[٧]، والمزي[٨]، والذهبي[٩] مطولةً.

وفي هذه الرواية مخالفة عقدية تتمثل بادعاء تبيع الحميري علم الغيب والمتمثل بزعمه أن خروج المسلمين من الجزيرة يكون بعد انقلاع الدرجة، وقد ورد في رواية ابن عساكر أن تبيعاً الحميري قد

= أرواد، توفي سنة ١٠١هـ بالاسكندرية. المزي: تهذيب الكمال ٤/ ٣١٢.

(١) كعب بن ماتع الحميري، العلامة الحبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة الرسول ﷺ، وقدم المدينة في أيام عمر رضي الله عنه، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، سكن الشام، وكان يغزو مع الصحابة، توفي بحمص أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. الذهبي: السير ٣/ ٤٨٩.

(٢) الدَّرجة: المِرقاة. ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٢٦٦.

(٣) ٥/ ٢٩٣.

(٤) فتوح البلدان ٢٧٩.

(٥) الخراج وصناعة الكتابة ٣٥١.

(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩٧.

(٧) تاريخ دمشق (مخطوط) ٣/ ٥١٧.

(٨) تهذيب الكمال ٤/ ٣١٦.

(٩) السير ٤/ ٤١٤.

حدد اليوم والشهر الذي تنقلع فيه الدرجة ـ أو التينة[١] كما ورد عند ابن عساكر ـ هذا وقد ذكر ابن عساكر أن هذه القصة كانت في جزيرة رودس.

[١٨٧] سنة ٥٦هـ:

قال الطبري:

«وقيل غزا فيها[٢] في البحر يزيد بن شجرة الرهاوي»[٣].

[١٨٨] سنة ٥٨هـ:

قال الطبري:

«وفيها[٤] قُتل يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر في السفن» في قول الواقدي.

قال: ويقال: «عمرو بن يزيد الجهني، وكان الذي شتى بأرض الروم».

وقد قيل:

«إن الذي غزا في البحر في هذه السنة جنادة بن أمية»[٥].

---

(١) أي شجرة التين، وقد ذكر ابن عساكر أنها كانت عند مسجد المسلمين في الجزيرة. ابن عساكر: تاريخ دمشق (مخطوط) ٣/ ٥١٧.
(٢) سنة ٥٦هـ.
(٣) ٥/ ٣٠١.
(٤) سنة ٥٨هـ.
(٥) ٥/ ٣٠٩.

[١٨٩] سنة ٥٩هـ:

قال الطبري:

قال الواقدي:

«لم يكن عامئذ[١] غزو في البحر»[٢].

وقال غيره:

«بل غزا في البحر جنادة بن أبي أمية».

الروايات السابقة أوردها ابن الجوزي[٣]، وابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥].

---

(١) سنة ٥٩هـ.
(٢) ٥/ ٣١٥.
(٣) المنتظم ٥/ ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٤.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٥٠٣، ٥١٥، ٥٢١.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٧٨، ٨١، ٩٤.

جبهة المغرب

[١٩٠] فتح جزيرة جربة[١] سنة ٤٩هـ:

قال الطبري:

«وفيها[٢] كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة، وشتا بجربة، وفتحت على يديه، وأصاب فيها سبياً كثيراً»[٣].

هذه الرواية ذكرها ابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥]، وابن تغري بردي[٦].

هذا وقد ذكر ابن سعد[٧]، وأبو نعيم الأصبهاني[٨]،

---

(١) جَرْبة: جزيرة تقع قرب قابس، وتعد حالياً من البلاد التونسية، البكري: المسالك والممالك (الجزء الخاص بصفة المغرب) ١٩؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ١٠٣.
(٢) سنة ٤٩هـ.
(٣) ٥/ ٢٣٢.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٨.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٣٢.
(٦) النجوم الزاهرة ١/ ١٨١.
(٧) الطبقات (تحقيق د. إحسان عباس) ٢/ ١١٥.
(٨) معرفة الصحابة (مخطوط) ٢٣٦ أ، ب.

والبكري[١]، والمالكي[٢]، وابن الأثير[٣] أن الذي فتح جربة هو الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري[٤] رضي الله عنه، ويمكن الجمع بين إمارة فضالة بن عبيد الأنصاري، وإمارة رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما في هذه الغزوة من خلال القرائن التالية:

١ـ اشتراك فضالة بن عبيد، ورويفع بن ثابت في غزو إفريقية، وهو ما رواه المالكي[٥] بإسناده قال:

«دخل فضالة بن عبيد إفريقية غازياً هو ورويفع بن ثابت».

٢ـ أن فتح جزيرة جربة يحتاج لمعونة قوات البحرية الإسلامية من أجل نقل القوات البرية من الساحل إلى الجزيرة، وكذلك حماية قوات المسلمين من غارات سفن البحرية الرومية، وهذه المهمة يبدو أنها قد أنيطت بالصحابي فضالة بن عبيد الأنصاري الذي كان أمير البحرية الإسلامية في مصر[٦]، وبذلك يكون فضالة بن عبيد أمير القوات البحرية التي أسهمت في فتح الجزيرة، ويكون رويفع بن ثابت أمير القوات البرية التي تولت فتح الجزيرة.

---

(١) المسالك والممالك، الجزء الخاص بصفة المغرب، ١٩.
(٢) رياض النفوس ١/ ٨١.
(٣) أسد الغابة ٢/ ٨٨.
(٤) رويفع بن ثابت الأنصاري، صحابي، نزل مصر، وولاه معاوية على طرابلس سنة ٤٦هـ فغزا أفريقية، توفي ببرقة سنة ٥٦هـ، وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد. ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٠١.
(٥) رياض النفوس ١/ ٨٠.
(٦) المالكي: رياض النفوس ١/ ٨٠.

٣ـ تحدثت رواية الطبري عن كثرة السبايا في هذه الغزوة، وهذا الأمر قد أشارت إليه المصادر[١] التي تحدثت عن إمارة رويفع بن ثابت رضي الله عنه لهذه الغزوة إشارة غير مباشرة، وذلك بقيام رويفع بن ثابت بتذكير المسلمين في هذه الغزوة بأحكام وطء السبايا، ونص كلام رويفع بن ثابت قد أخرجه أبو داود[٢] من طريق حنش الصنعاني[٣]، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، قال: قام فينا خطيباً، قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين، قال:

«لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي[٤] ماءه[٥] زرع غيره[٦] ـ يعني إتيان[٧] الحبالى ـ ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم

---

(١) انظر ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. إحسان عباس) ٢/١١٥؛ أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة (مخطوط) ٢٣٦ أ، ب؛ البكري: المسالك والممالك، الجزء الخاص بصفة المغرب،١٩؛ المالكي: رياض النفوس ١/٨١؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٨٨.

(٢) أبو داود: السنن مع شرحها عون المعبود ٦/١٣٧؛ الألباني: صحيح سنن أبي داود ٢/٤٠٥.

(٣) حنش بن عبدالله الصنعاني، تابعي، شهد فتوح المغرب والأندلس، وكان ممن عاون عبدالله بن الزبير ضد عبدالملك بن مروان، توفي سنة ١٠٠هـ، روى له الجماعة إلا البخاري. المزي: تهذيب الكمال ٧/٤٢٩.

(٤) يسقي: يدخل. شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٦/١٣٧.

(٥) ماءه: نطفته. المصدر السابق.

(٦) زرع غيره: أي محل زرع لغيره. المصدر السابق.

(٧) إتيان الحبالى: جماعهن. المصدر السابق.

الآخر أن يقع على امرأةٍ[١] من السبي حتى يستبرئها[٢]، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً[٣] حتى يُقسم[٤]».

ومن هذه القرائن تتضح إمكانية اشتراك الصحابيين الكريمين فضاله بن عبيد الأنصاري، ورويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما في فتح جزيرة جربة.

[١٩١] بناء القيروان[٥] سنة ٥٠هـ:

قال الطبري:

«وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولي مسلمة مصر وإفريقية، عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، فافتتحها، واختط قيروانها، وكان موضعه غيضة[٦] ـ فيما زعم محمد بن عمر ـ لا ترام من السباع والحيات، وغير ذلك من الدواب، فدعا الله عزوجل عليها فلم يبق منها شيء إلا خرج هارباً، حتى إن السباع كانت تحمل أولادها»[٧].

---

(١) يقع على امرأة: يجامعها. المصدر السابق ٦/١٣٨.
(٢) يستبرئها: أي بحيضة أو بشهر. المصدر السابق.
(٣) مغنماً: أي شيئاً من الغنيمة. المصدر السابق.
(٤) يُقسم: أي بين الغانمين ويخرج منه الخمس. المصدر السابق.
(٥) القيروان: فارسي معرب، ومن معانيه موضع الكتيبة، الجيش، معظم المعسكر، معظم القافلة، والقيروان في هذا العصر إحدى مدن البلاد التونسية، وتقع جنوب العاصمة تونس. ابن منظور: لسان العرب ١٥/١٧٦ ـ ١٧٧؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ١٠٣.
(٦) الغيضة: الأجمة، ومجتمع الشجر. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٣٨.
(٧) ٥/٢٤٠.

[١٩٢] قال محمد بن عمر: حدثني موسى بن علي عن أبيه، قال:

«نادى عقبة بن نافع: إنا نازلون فاظعنوا[١] عِزِينا[٢]، فخرجن من جحرتهن هوارب»[٣].

[١٩٣] قال: وحدثني المفضل بن فضالة، عن يزيد[٤] بن أبي حبيب، عن رجل من جند مصر، قال:

«قدمنا مع عقبة بن نافع، وهو أول الناس اختطها، وأقطعها للناس مساكن ودوراً، وبنى مسجدها، فأقمنا معه حتى عُزل وهو خير والٍ، وخير أمير»[٥].

تحدثت الروايات السابقة عن بناء عقبة بن نافع رحمه الله القيروان، وهذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[٦]، وابن عبدالحكم[٧]، والبلاذري[٨]، وابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠]، وابن عذاري[١١].

---

(١) اظعنوا: سيروا. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٥٦٦.
(٢) عِزين: متفرقين. ابن منظور: لسان العرب ١٥/ ٥٣.
(٣) ٥/ ٢٤٠.
(٤) في الأصل زيد والتصويب من المزي: تهذيب الكمال ٢٨/ ٤١٥ ـ ٤١٦.
(٥) ٥/ ٢٤٠.
(٦) التاريخ ٢١٠.
(٧) فتوح مصر ١٩٦.
(٨) فتوح البلدان ٢٦٩.
(٩) المنتظم ٥/ ٢٢٩.
(١٠) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٦.
(١١) البيان المغرب ١/ ١٩ ـ ٢٠.

ويعد خبر خروج السباع من مكانها بناء القيروان كرامة عظيمة أكرم الله بها عبده عقبة بن نافع رحمه الله ومن معه من المجاهدين، وخبر هذه الكرامة أورده خليفة بن خياط[١]، بإسناد حسن[٢]، من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب[٣] قال:

«لما فتح عقبة بن نافع أفريقية، وقف على القيروان فقال:

يا أهل الوادي، إنا حالُّون إن شاء الله فاظعنوا، ثلاث مرات، قال: فما رأينا حجراً، ولا شجراً، إلا يخرج من تحته دابة، حتى يهبطن ببطن الوادي، ثم قال: انزلوا بسم الله».

وقد كانت هذه الكرامة سبباً في إسلام من شاهدها من المشركين، وفي ذلك يقول ابن الأثير[٤]:

«فرآه كثير من البربر[٥] فأسلموا».

هذا وقد ذهب بعض المعاصرين[٦] إلى التشكيك في هذه الكرامة التي أنعم الله بها على عقبة بن نافع ومن معه من المجاهدين، بالرغم

(١) التاريخ ٢١٠.
(٢) ابن حجر: الإصابة ٥/ ٦٤.
(٣) يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة، ثقة، مات سنة أربع ومائة، أخرج له مسلم والأربعة. ابن حجر: التقريب ٥٩٣.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٦.
(٥) هم سكان بلاد المغرب.
(٦) د. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ١٤٢؛ د. سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي ١/ ١٨٥.

من تواترها، وصحة إسنادها.

أسباب بناء القيروان:

١ـ كثرة ارتداد أهل أفريقية عن الإسلام، وهو ما صرح به عقبة رحمه الله حيث قال:

«إن أفريقية، إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينةً تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر»[١].

٢ـ اتخاذها منطلقاً للجهاد والدعوة في سائر بلاد المغرب.

٣ـ اتخاذها قاعدةً يأرز إليها المجاهدون، ويطمئنون فيها على ذراريهم وأهليهم، وعن ذلك يقول ابن الأثير[٢]:

«وقوي جنان[٣] من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا، واطمأنوا على المقام، فثبت الإسلام».

٤ـ أن تكون منارة للإيمان في ذلك الوسط الجاهلي يتعلم فيها الداخلون في الإسلام أمور دينهم، وكذلك ليقف الراغبون في الإسلام بأنفسهم على عظمة هذا الدين الحنيف.

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ١/ ١٩.
(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٦.
(٣) الجنان: القلب. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٥٣٢.

٥ـ أن تكون رباطاً[١] للمجاهدين في سبيل الله؛ وذلك لقربها من البحر، وعن ذلك يقول ابن عذاري[٢]:

«فاتفق الناس على ذلك، وأن يكون أهلها مرابطين، وقالوا: نقرب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط، فقال عقبة: إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية[٣] بغتةً فيمتلكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها صاحب البحر[٤] إلا وقد علم به، وإذا كان بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير[٥] للصلاة، فهم مرابطون».

---

(١) معنى الرباط: الإقامة بالثغر، مقوياً للمسلمين على الكفار، والثغر: كل مكان يُخيفُ أهلُه العدّو ويخيفُهم. ابن قدامة: المغني ١٣/١٨.
وأجر الرباط أجرٌ عظيم وفي ذلك يقول الرسول ﷺ:
«رباط يوم وليلةٍ خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتّان». مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٦١.
وعن الجهاد والرباط يقول الإمام أحمد: «ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط دفع عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر، ولأهل الغزو، فالرباط عندي أصل الجهاد وفرعه، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة». ابن قدامة ١٣/١٨.

(٢) البيان المغرب ١/١٩.

(٣) يقصد الروم.

(٤) يقصد الروم أيضاً.

(٥) ومسافة القصر: ستة عشر فرسخاً، أو ثمانية وأربعين ميلاً هاشمياً، ولما كان الفرسخ يعادل ٦كم، والميل يعادل ٢كم. (فالترهنس: المكاييل والأوزان الإسلامية ٩٤ ـ ٩٥)، فهذا يعني أن مسافة القصر تكون ٩٦كم تقريباً، هذا وتبعد القيروان عن البحر مسافة ٣٦ميل، أي أنها دون مسافة القصر في الصلاة، وهذا ما أراده عقبة رحمه الله. الحسن الوازن: وصف إفريقيا ٢/٨٧؛ ومن أجل الاستزادة في مسألة القصر في السفر انظر ابن قدامة: المغني ٣/١٠٤ وما بعدها.

جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر

[١٩٤] تكليف عبدالله بن عامر رضي الله عنه بإعادة فتح سجستان وخراسان:

قال الطبري:

«وفي هذه السنة[١] ولّى معاوية عبدالله بن عامر البصرة[٢]، وحروب سجستان وخراسان»[٣].

لقد جاء تعيين عبدالله بن عامر رضي الله عنه في هذا المنصب نظراً لخبرته السابقة في هذه المنطقة، فهو الذي تولى فتح سجستان وخراسان في عهد عثمان رضي الله عنه[٤]، ولما انتقضت هذه البلاد بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه[٥] قام معاوية رضي الله عنه بعد توليه الخلافة بتكليف عبدالله بن عامر بإعادة فتح هذه المنطقة مرةً أخرى.

---

(١) سنة ٤١هـ.
(٢) انظر ولاية عبدالله بن عامر على البصرة في مبحث ولاة البصرة من الفصل السابق.
(٣) ٥/ ١٧٠.
(٤) الطبري: التاريخ ٤/ ٣١٤.
(٥) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ٣٩٤، ٤٠٤.

[١٩٥] غزو جبال الغور[١] وفرواندة[٢]:

قال الطبري:

وقال بعض أهل السير:

«وفي هذه السنة[٣] وجه زياد الحكم بن عمرو الغفاري إلى خراسان أميراً، فغزا جبال الغور، وفرواندة، فقهرهم بالسيف عنوةً، ففتحها، وأصاب بها غنائم كثيرة وسبايا، وذكر قائل هذا القول أن الحكم بن عمرو قفل من غزوته هذه فمات بمرو، وسأذكر من خالف هذا القول بعد إن شاء الله تعالى»[٤].

خبر غزو جبال الغور، ووفاة الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه ذكره ابن الأثير[٥]، وقد بين ابن الأثير أن شدة الحكم بن عمرو رضي الله عنه مع أهل الغور ترجع إلى أنهم ارتدوا بعد إسلامهم.

---

(١) جبال الغور: تقع حالياً في ولاية الغور في وسط أفغانستان، وهي منطقة جبلية شديدة الوعورة. د. محمد أمان صافي: بست وسيستان ٤٨ د. محمد أمان: أفغانستان ٧٤، ٤٥٦.

(٢) فرواندة: لعلها فروان، وفروان بليدة قريبة من غزنة، ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٥٧، وغزنة: اسم مدينة وولاية في أفغانستان حالياً، وتبعد عن العاصمة كابل مسافة ١٣٥كم جنوباً. د. محمد أمان: أفغانستان ٢٦٩.

(٣) سنة ٤٧هـ.

(٤) ٥/٢٢٩، ٢٣٠.

(٥) الكامل في التاريخ ٣/٤٥٥، ٤٥٦.

[١٩٦] غزو جبل الأشل[١] سنة ٥٠هـ:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان، عن عبدالرحمن بن صبح، قال:

«كنت مع الحكم بن عمرو بخراسان، فكتب زياد إلى عمرو[٢]: إن أهل جبل الأشل سلاحهم اللبود[٣]، وآنيتهم الذهب[٤]، فغزاهم حتى توسطوا، فأخذوا بالشعاب والطرق، فأحدقوا به، فعيَّ[٥] بالأمر، فولى المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتى أخذ عظيماً من عظمائهم، فقال له: اختر بين أن أقتلك، وبين أن تخرجنا من هذا المضيق؛ قال له: أوقد النار حيال الطريق لتسلكوه فإنهم يستجمعون لكم، ويعرون ما سواه من الطرق، فبادرهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه، ففعلوا ذلك، فنجا وغنموا غنيمةً عظيمة»[٦].

---

(١) جبل الأشل: من جبال الترك الواقعة على ثغور خراسان، ويبدو أن جبل الأشل يقع في المنطقة الجبلية الواقعة جنوب تركستان؛ لأن منطقة تركستان كانت تقع على ثغور خراسان. ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣/٤٥٦؛ ياقوت: معجم البلدان: ١/٢٠٠؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٧٢ ـ ٧٣؛ بارتولد: تركستان ٨١٦.

(٢) أي: الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه.

(٣) سلاحهم اللبود: اللبود هو الالتصاق بالأرض، ابن منظور: لسان العرب ٣/٣٨٥، ولعل المعنى أنهم يكمنون لعدوهم في الجبال ويلتصقون بها إذا هوجموا، من أجل استدراج عدوهم والإيقاع به.

(٤) وهذا دلالة على غناهم وثراهم.

(٥) عيَّ، وعيي: عجز. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٦٩٧.

(٦) ٥/٢٥١.

خبر غزو جبل الأشل ذكره ابن الأثير[١].

[١٩٧] حدثني عمر، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان عن عبدالرحمن بن صبح، قال:

«كتب إليه زياد: والله لئن بقيت لك لأقطعن منك طابقاً سحتاً[٢]، وذلك أن زياداً كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له صفراء وبيضاء[٣] والروائع[٤]، فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك[٥].

فكتب إليه الحكم: أما بعد، فإن كتابك ورد، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع، ولا تحركن شيئاً؛ فإن كتاب الله عزوجل قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقاً[٦] على عبدٍ اتقى الله عزوجل جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً.

وقال للناس: اغدوا على غنائمكم، فغدا الناس، وقد عزل

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٦.
(٢) لأقطعن منك طابقاً سحتاً: أي لأستأصلن ما خبث من كسبك. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٩٦، ١١٦٥.
(٣) الصفراء والبيضاء: هما الذهب والفضة. ابن عبدالبر: الاستيعاب ١/ ٣٥٧.
(٤) الروائع: المقصود بها في هذا المقام، ما أعجبك وسرك من الغنائم. ابن منظور: لسان العرب ٨/ ١٣٦.
(٥) أي لا تقسم الغنائم حتى تخرج منها الذهب والفضة والروائع.
(٦) الرتق: ضد الفتق، وهو الالتحام. ابن منظور: لسان العرب ١٠/ ١١٤.

الخمس، فقسم بينهم تلك الغنائم؛ قال: فقال الحكم: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني؛ فمات بخراسان بمرو»[١].

خبر قسمة الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه الغنائم بين أفراد جيشه، ذكره ابن عبدالبر[٢]، وابن الجوزي[٣]، وابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥]، وتتفق هذه المصادر حول طلب معاوية رضي الله عنه اصطفاء الذهب والفضة وعدم قسمتها بين الجيش ـ لكنها لم تورد هذا الخبر بأسانيد صحيحة ـ وزاد ابن كثير أن معاوية رضي الله عنه طلب أن يرسل الذهب والفضة إلى بيت المال.

وهنا يجدر التذكير بأن مصارف الغنيمة في الإسلام قد بينها الله سبحانه وتعالى في قوله:

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٦].

وهذا يعني أن أربعة أخماس الغنيمة يقسم بين الجيش[٧]، ويبقى خمس الغنيمة فيقسم كما ورد في الآية السابقة، وهذا الحكم لا يخفى

---

(١) ٥/ ٢٥١، ٢٥٢.
(٢) الاستيعاب ١/ ٣٥٧.
(٣) المنتظم ٥/ ٢٣٠.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٧٠.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٤٧.
(٦) سورة الأنفال: الآية (٤١).
(٧) ابن قدامة: المغني ٩/ ٣٠٤.

على معاوية رضي الله عنه، كما أن دين معاوية وعدالته تمنعه من رد حكم الله سبحانه وتعالى.

وبالرجوع إلى رواية الطبري نلاحظ أن الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه لم يبادر إلى قسمة الغنائم بين الجيش على الفور ـ مع وضوح حكم الشرع في ذلك ـ بل دارت بينه وبين زياد مراسلات في شأن الغنائم، وهذا التأخير في قسمة الغنائم يقودنا إلى عدة احتمالات يمكن من خلالها إزالة الغموض الوارد في الرواية، وهذه الاحتمالات هي:

١ـ رغبة معاوية رضي الله عنه في أن يكون خمس الغنيمة ـ الذي يتولى إمام المسلمين قسمته ـ من الذهب والفضة.

٢ـ رغبة معاوية رضي الله عنه في حمل ما غنم المسلمون من ذهب وفضة ـ قبل تخميسه وقسمته ـ إلى الهند وبيعه هناك[١] بقيمة مرتفعة ثم يخمس ثمنه بعد ذلك، وفي ذلك خير للجميع.

٣ـ وجود نقصٍ طارىء في بيت مال المسلمين، فأراد معاوية رضي الله عنه أن يقترض ما غنمه جيش الحكم رضي الله عنه إلى أجل معلوم، وتأخير قسمة الغنائم بين الجيش إلى وقت لاحق.

---

(١) خبر بيع المسلمين الذهب والفضة في الهند أورده البلاذري بإسناده قال: «اشترى عبدالله بن قيس بن مخلد الدزقي في سقلية، فأصاب أصنام ذهبٍ وفضةٍ مكللةٍ بالجواهر، فبعث بها إلى معاوية، فوجه بها معاوية إلى البصرة، لتحمل إلى الهند فتباع هناك ليثمن بها». البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٨.

[١٩٨] عبور الحكم رضي الله عنه نهر جيحون[١]:

حدثني عمر، عن علي بن محمد، قال:

«كان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم، اغترف بترسه[٢] فشرب، ثم ناول الحكم فشرب، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين، وكان أول الناس فعل ذلك، ثم قفل»[٣].

خبر عبور الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه النهر ذكره البلاذري[٤]، وقدامة ابن جعفر[٥]، وابن الجوزي[٦]، وابن كثير[٧].

[١٩٩] فتح بلخ[٨] وقُهستان[٩] سنة ٥١هـ:

حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب وعبدالرحمن بن أبان القرشي، قالا:

---

(١) نهر جيحون: يمر حالياً بجمهوريتي أوزبكستان، وتركمانستان. د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٧٢ ـ ٧٣.
(٢) الترس: نوع من السلاح يتوقى به. ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٣٢.
(٣) ٥/ ٢٨٦.
(٤) فتوح البلدان ٥٠٦.
(٥) الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥.
(٦) المنتظم ٥/ ٢٤٣.
(٧) البداية والنهاية ٨/ ٥٦.
(٨) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، وبلخ في هذا العصر مدينة صغيرة تقع بالقرب من مدينة مزار شريف في ولاية بلخ بأفغانستان. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٤٧٩؛ د. محمد أمان صافي: أفغانستان ٢٥١.
(٩) قهستان: ناحية كبيرة بين نيسابور وهراة؛ وقهستان أيضاً مدينة بكرمان، وتقعان حالياً شرقي إيران. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٢٨٨ خارطة ٦، ٣٧٦ خارطة ٨؛ أبو الفداء: تقويم البلدان ٤٤٤.

«قدم الربيع[١] خراسان ففتح بلخ صلحاً، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس، وفتح قهستان عنوةً، وكانت بناحيتها أتراك، فقتلهم وهزمهم»[٢].

هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي[٣]، وابن الأثير[٤]، وابن كثير[٥].

[٢٠٠] عبور الربيع بن زياد الحارثي نهر جيحون سنة ٥١هـ:

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال:

«غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فَرّوخ وجاريته شريفة، فغنم وسلم، فأعتق فروخاً، وكان قد قطع النهر قبله الحكم بن عمرو في ولايته ولم يفتح»[٦].

خبر عبور الربيع بن زياد الحارثي نهر جيحون ذكره ابن الجوزي[٧]، وابن كثير[٨].

[٢٠١] عبور عبيدالله بن زياد نهر جيحون سنة ٥٤هـ:

حدثني عمر مرةً أخرى في كتابه الذي سماه كتاب «أخبار أهل

---

(١) هو الربيع بن زياد الحارثي.
(٢) ٥/ ٢٨٦.
(٣) المنتظم ٥/ ٢٤٣.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٨٩.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٥٦.
(٦) ٥/ ٢٨٦.
(٧) المنتظم ٥/ ٢٤٣.
(٨) البداية والنهاية ٨/ ٥٦.

البصرة»، فقال: حدثني أبو الحسن المدائني، قال:

«. . . وقدم عبيدالله خراسان ثم قطع النهر إلى جبال بخارى[١] على الإبل، فكان أول من قطع إليهم جبال بخارى في جندٍ، ففتح رامثين[٢]، ونصف[٣] بيكند[٤] ـ وهما من بخارى ـ فمن ثم أصاب البخارية[٥]»[٦].

[٢٠٢] قال علي: أخبرنا الحسن بن رشيد، عن عمه، قال:

«لقي عبيدالله بن زياد الترك ببخارى ومع ملكهم امرأته قبج خاتون، فلما هزمهم الله أعجلوها عن لبس خفيها، فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأصابه المسلمون، فقوم الجورب بمائتي ألف درهم»[٧].

[٢٠٣] قال: وحدثني محمد بن حفص، عن عبيدالله بن زياد بن

---

(١) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، بينها وبين جيحون يومان، وتقع حالياً في جمهورية أوزبكستان. ياقوت: معجم البلدان ١/٣٥٣؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٧٢.

(٢) رامثين: من ملحقات بخارى، وهي المقر الشتوي لملوك بخارى قبل الفتح، وتبعد عن بيكند فرسخان، والفرسخان قرابة ١٢ كم. قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥؛ النرشخي: تاريخ بخارى ٢٧، ٣٢.

(٣) ذكر النرشخي ما يفيد فتح (بيكند) بكليتها وليس نصفها. النرشخي: تاريخ بخارى ٦٤.

(٤) بيكند: من مدن بخارى، وتبعد حالياً عن بخارى مسافة ٤٤كم باتجاه نهر جيحون. أبو الفداء: تقويم البلدان ٤٨٨؛ د. أمين بدوي، د. نصرالله الطرازي: تاريخ بخارى للنرشخي، ص ٣٦، حاشية ٢.

(٥) انظر الرواية رقم [٢٠٤].

(٦) ٥/٢٩٦ ـ ٢٩٨.

(٧) ٥/٢٩٨.

معمر، عن عبادة بن حصن، قال:

«ما رأيت أحداً أشد بأساً من عبيدالله بن زياد، لقينا زحف من الترك بخراسان، فرأيته يقاتل فيحمل عليهم فيطعن فيهم ويغيب عنا، ثم يرفع رايته تقطر دماً»[١].

[٢٠٤] قال علي: وأخبرنا مسلمة:

«أن البخارية الذين قدم بهم عبيدالله بن زياد البصرة ألفان[٢]، كلهم جيد الرمي بالنشاب.

قال مسلمة: كان زحف[٣] الترك ببخارى أيام عبيدالله بن زياد من زحوف خراسان التي تعد»[٤].

خبر جهاد عبيدالله بن زياد فيما وراء نهر جيحون ذكره البلاذري[٥]، وقدامة بن جعفر[٦]، والنرشخي[٧]، وابن الجوزي[٨]، وابن الأثير[٩]، وابن كثير[١٠].

---

(١) ٥/٢٩٨.
(٢) وذلك من أجل الاستعانة بهم في تثبيت الأمن في البصرة.
(٣) أي زحف المسلمين على الترك.
(٤) ٥/٢٩٨.
(٥) فتوح البلدان ٥٠٧.
(٦) الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥.
(٧) تاريخ بخارى ٦٤.
(٨) المنتظم ٥/٢٦٧.
(٩) الكامل في التاريخ ٣/٤٩٩.
(١٠) البداية والنهاية ٨/٦٧.

هذا وقد تميزت رواية النرشخي عن جهاد عبيدالله بن زياد للترك بتفاصيل لم أقف عليها في المصادر الأخرى[١].

[٢٠٥] عبور سعيد بن عثمان بن عفان نهر جيحون سنة ٥٦هـ:

قال علي: قال مسلمة:

«قدم سعيد بن عثمان، فقطع النهر إلى سمرقند[٢]، فخرج إليه

---

(١) وفيما يلي نص رواية النرشخي: «حين أرسل معاوية عبيدالله بن زياد إلى خراسان، عبر نهر جيحون وجاء إلى بخارى، وكانت ملكة بخارى سيدة خاتون لأن ابنها طغشاده كان صغيراً، ففتح عبيدالله بن زياد بيكند، ورامثين، واسترق كثيرين، وأخذ أربعة آلاف من رقيق بخارى لنفسه، وكان هذا في آخر سنة ثلاث وخمسين وأول سنة أربعة وخمسين، فلما وصل إلى مدينة بخارى صف الصفوف وأقام المنجنيقات، فأرسلت الخاتون شخصاً إلى الترك وطلبت منهم العون، وأوفدت شخصاً إلى عبيدالله بن زياد وطلبت سبعة أيام مهلة وقالت: إني في طاعتك، وأرسلت إليه هدايا كثيرة، فلما لم يصل المدد في هذه الأيام السبعة أرسلت إليه الهدايا مرةً ثانيةً وطلبت مدة سبعة أيام أخرى، فوصل عسكر الترك، وتجمع آخرون، وصار جيش عظيم، وخاضوا معارك كثيرة، وهزم الكفار أخيراً، وتعقبهم المسلمون وقتلوا كثيرين، ودخلت الخاتون القلعة، وعاد أولئك العسكر - أي عسكر الترك - إلى ولاياتهم، وأخذوا - أي عسكر المسلمين - سلاحاً، وثياباً، وأدوات ذهبيةً وفضيةً، ورقيقاً، وواحدة من خفي الخاتون مع جورب، والخف من الذهب المرصع بالجواهر، فلما قوموهما بلغا مائتي ألف درهم، وأمر عبيدالله بن زياد بقطع الأشجار، وتخريب الديار، وتعرضت المدينة للخطر أيضاً، فأرسلت الخاتون شخصاً وطلبت الأمان، وتم الصلح على مليون درهم، وأرسلت المال، وأخذ عبيدالله بن زياد المال، وعاد ومعه تلك الأربعة آلاف من الرقيق». النرشخي: تاريخ بخارى ٦٤.

(٢) سمرقند: بلد معروف مشهور بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد، مبنية على جنوبي وادي الصغد، وتقع سمرقند حالياً في جمهورية أوزبكستان. ياقوت: معجم البلدان ٣/٢٤٦؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٧٢.

أهل الصُّغد[١]، فتواقفوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال، فقال مالك بن الريب يذم سعيداً:

ما زلت يوم الصغد ترعد واقفاً

من الجبن حتى خفت أن تتنصرا

وما كان في عثمان شيء علمته

سوى نسله في رهطه حين أدبرا

ولولا بنو حرب لظلت دماؤكم

بطون العظايا[٢] من كسيرٍ وأعورا

قال: فلما كان الغد خرج إليهم سعيد بن عثمان، وناهضه الصغد، فقاتلهم فهزمهم وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم، وعبر فأقام بالتِّرمِذ[٣]، ولم يف لهم، وجاء بالغلمان الرهن معه إلى المدينة»[٤].

---

(١) الصُّغد: أول السُّغد، ناحية كثيرة المياه، نظرة الأشجار، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وجيحون، وقصبتها سمرقند، وهو إقليم يقع بين نهري سيحون وجيحون، ومن مدنه الهامة سمرقند وبخارى. ياقوت: معجم البلدان ٣/ ٢٢٢؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٥٠٣.

(٢) بطون العظايا: يعني البرص. البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ٦١٨.

(٣) تِرمِذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي، وتقع مدينة ترمذ حالياً في جمهورية أوزبكستان. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٦؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٧٢.

(٤) ٥/ ٣٠٦.

خبر جهاد سعيد بن عثمان بن عفان فيما وراء نهر جيحون ذكره كل من البلاذري[١]، وابن أعثم[٢]، وقدامة بن جعفر[٣]، والنرشخي[٤]، بتفاصيل أوفى مما عند الطبري، كما ذكره ابن الجوزي[٥]، وابن الأثير[٦]، وابن كثير[٧] بنحو رواية الطبري.

أما الشعر الذي ورد في رواية الطبري فقد أورد البلاذري البيت الأول في كتابه فتوح البلدان[٨]، وأورد البيتين الآخرين في كتابه أنساب الأشراف[٩]، وأما ابن أعثم[١٠] فقد أورد الأبيات الثلاثة التي عند الطبري مع زيادة بيت آخر جعله في مقدمة الأبيات، وهو:

سعيد بن عثمان أميرٌ مُرَوَّعٌ

تراه إذا ما عاين الحربَ أخزَرا[١١]

بينما أورد ابن الأثير البيت الأول الوارد في رواية الطبري فقط.

---

(١) فتوح البلدان ٥٠٧.
(٢) الفتوح ٤/١٨٧ ـ ١٩٩.
(٣) الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥.
(٤) تاريخ بخارى ٦٤، ٦٥.
(٥) المنتظم ٥/٢٨٧.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/٥١٢.
(٧) البداية والنهاية ٨/٧٨.
(٨) ٥٠٩.
(٩) ٤/٦١٨.
(١٠) الفتوح ٤/١٩٥.
(١١) الأخزَرُ: الذي أقبلت حدقتاه إلى أنفه. ابن منظور: لسان العرب ٤/٢٣٦.

هذا وتدور الشكوك حول صحة نسبة هذه الأبيات إلى مالك بن الريب، وفيما يلي بعض القرائن التي تؤيد ذلك:

١ـ إن اتهام سعيد بن عثمان بالجبن ليس له ما يسوغه، حيث كان يتصف بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس، وقد ظهر ذلك جلياً أثناء جهاده للصغد في سمرقند، وهذا الأمر لم يكن غائباً عن مالك بن الريب.

٢ـ ورد في الشطر الثاني من البيت الأول عند الطبري كلمة (تتنصَّرا)، والمراد أن خوف سعيد بن عثمان من الصُّغد كاد يؤدي به إلى الكفر، وقد وَهِم قائل البيت في تحديد ديانة الصغد فظنهم نصارى، وهم ليسوا كذلك[١]، وهذا أيضاً لم يكن ليغيب عن مالك بن الريب لو صح أنه قائل تلك الأبيات.

٣ـ استبعاد صدور تلك الأبيات من مالك بن الريب في حق سعيد بن عثمان؛ لأن سعيداً رحمه الله صاحب فضل على مالك بن الريب، حيث كان سبباً في إنقاذه من حياة الضياع التي كان يعيشها في السابق، وترغيبه في الجهاد وحثه عليه[٢]، وفي ذلك يقول مالك بن الريب:

---

(١) ذكر النرشخي ما يفيد أن أهل بخارى ومن حولها كانوا يعبدون الأصنام، في حين أن دين الطبقة الحاكمة في منطقة ما رواء النهر كان الزرادشتية. النرشخي: تاريخ بخارى ٧٤ ـ ٧٧؛ بارتولد: تركستان ٢٩٧.

(٢) ابن أعثم: الفتوح ٤/ ١٨٩؛ القالي: ذيل الأمالي والنوادر ١٣٥؛ الأصفهاني: الأغاني ٢٢/ ٢٨٦.

ألـم تـرنـي بِعـتُ الضـلالـة بـالهُـدى

وأصبَحتُ في جيشِ ابن عفانَ غازيا[١]

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٢١؛ ابن أعثم: الفتوح ٤/١٩٧؛ القالي: ذيل الأمالي والنوادر ١٣٥.

السياسة الجهادية لمعاوية رضي الله عنه

أولاً: سياسة معاوية رضي الله عنه تجاه الروم:

يمكن تلخيص السياسة الجهادية لمعاوية تجاه الروم من خلال النص الذي أورده خليفة بن خياط[١] بإسناده، قال:

«كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شُدّوا خِناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم[٢]».

وفيما يلي أبرز الخطوات التي سلكها معاوية لتحقيق هذه السياسة في أثناء خلافته:

١ـ التركيز على عمليات الصوائف والشواتي، من أجل تحقيق عدة أهداف منها:

أ ـ استنزاف قوة الروم[٣].

---

(١) التاريخ ٢٣٠.

(٢) أي أن حصر الروم والتضييق عليهم من شأنه أن يزرع في نفوس الأمم الأخرى الهيبة والخوف من الدولة الإسلامية.

(٣) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي ١/ ٢٣٣.

ب ـ انتزاع زمام المبادرة من الروم، وجعلهم في حالة دفاع مستمر[١].

جـ ـ إرغام الروم على توزيع قواتهم بحيث لا يستطيعون القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الدولة الإسلامية[٢].

٢ـ مهاجمة الروم في عقر دارهم ومحاصرة عاصمتهم، وما يترتب على ذلك من إضعاف معنوياتهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

٣ـ تقليص النفوذ البحري للروم عن طريق فتح الجزر الواقعة في بحر الشام[٣]، وما يترتب على ذلك من حرمان سفن الروم من قواعدها البحرية الهامة.

ثانياً: سياسة معاوية رضي الله عنه في جبهة المغرب:

١ـ أولى معاوية رضي الله عنه جبهة المغرب اهتماماً خاصاً تمثل بارتباط هذه الجبهة به شخصياً، حيث كان معاوية رضي الله عنه المرجع المباشر لقادة هذه الجبهة إلى سنة ٤٧هـ، وهي السنة التي ضُمَّت فيها جبهة المغرب إلى والي مصر[٤].

٢ـ عمل معاوية رضي الله عنه على إقامة قاعدة جهادية متقدمة في قلب بلاد المغرب تكون عِزّاً للإسلام والمسلمين، وذلك ببناء مدينة

(١) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي ١/ ٢٣٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢١١.
(٤) الكندي: ولاة مصر ٦١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ١٧٥.

القيروان.

ثالثاً: سياسة معاوية رضي الله عنه في جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر:

١ـ استعانة معاوية رضي الله عنه بفاتح سجستان وخراسان أيام عثمان رضي الله عنه، وهو عبدالله بن عامر رضي الله عنه، وتكليفه بإعادة فتحها مرة أخرى.

٢ـ العمل على تثبيت الحكم الإسلامي، ونشر دعوة الإسلام في هذه المنطقة عن طريق إسكان خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم في خراسان.